

من كتاب: تزييفه الوعى البشرى، وإنذاراته الانقراض (17) بعض فكر يحيى الرخاوى (1)

تزييفه الوعى البشرى، وإنذاراته الانقراض (2 من 2) (2)



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة " الإنسان " 2021/06/27

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5048

دكتور في الطب النفسى، مصر

### العمى أحد أهم شروط الانقراض:

لا يوجد نوع من الأحياء، دون استثناء الجنس البشرى، سعى أو هو يسعى للانقراض بوعى أو بغير وعى، لا بوش ولا ستالين، لا الديناصورات، ولا اليمام، لا الفيلة ولا النمل، لا البكتريا ولا الفيروسات، بل إن الانقراض ذاته لم تتوحد أو تتحدد أسبابه لكل من انقرض من أحياء (3) ، قد يحدث الانقراض بمحض الصدفة (حظ سىء)، وقد يحدث نتيجة خطأ تطورى جسيم، أما وقد اكتسب الإنسان ذلك الوعى الفائق، فقد تراجعت الصدفة نسبيا أملا فى أن تحل محلها المسؤولية.

الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى ليس مجرد خطأ تطبيق أفكار أغلبها (إن لم يكن كلها) صحيحة، والذى يحدث الآن فى أمريكا وفى العراق على حد سواء، ليس مجرد شهوة حكم أو مصالح شركات، الذى حدث ويحدث من بن لادن ليس مجرد تعصب أعمى، أو انحراف عن الدين الحقيقى، كل هذه الأحداث تتشابه فى كونها تعلن عن خطأ تطورى يتمادى فيه الجنس البشرى بشكل منذر.

### لماذا لا نتعلم؟

الخطر الأساسى باختصار شديد: هو أن الجزء الأحدث من وجودنا (الوعى الظاهر، والعقل الخفى) قد تعمق حتى طغى فألغى كل، أو معظم إنجازات التاريخ الحيوى، لصالح تفوق ما يسمى العقل، وهو يلتحف بما أسماه الديمقراطية، معلقا لافتة كتب عليها حقوق الإنسان، لا شك أن الأحدث أقدر، لكن الذى حوّل هذا الأحدث الأقدر ليصبح خطرا جسيما هو ما تورط فيه من زعم بأنه قادر **وحده** على دفع عجلة التطور.

نحن لم نتعلم من انهيار الاتحاد السوفيتى إلا ما أسميناه "صحة الفكرة، وخيبة التطبيق"، إن الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية هو الاعتماد على فكر حديث صحيح لكنه استشرى على حساب وعى أكثر أصالة أثبت نجاحه فى الحفاظ على التطور عبر تاريخ الحياة. إن الذى يحدث الآن على الجانب الآخر هو نفس الشيء تقريبا: لو تمادت أمريكا - ومن إليها - فى اتباع ما يتصوره غاية المطاف من أفكار ديمقراطية (بديلا عن ممارسة جوهر الحرية) وحقوق إنسان مكتوبة على الورق، لا بد أن ينتهى بها إلى ما انتهى إليه الاتحاد السوفيتى.

لكن ثم فرقا هاما: حين انتهى الاتحاد السوفيتى قفز خصمه شامتا وهو يتصور، ويصور لنا، أنه الصحيح الأوجد المتبقى أمانا لاختياره!! لكن كل الدلائل التالية، آخرها هذا النذير من برج التجارة ثم أفغانستان فالعراق، تشير إلى أن انهيار ما تمثله سلطات أمريكا الحالية سوف يكون أكثر دويا وأخطر

الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى ليس مجرد خطأ تطبيق أفكار أغلبها (إن لم يكن كلها) صحيحة

الذى حدث ويحدث من بن لادن ليس مجرد تعصب أعمى، أو انحراف عن الدين الحقيقى، كل هذه الأحداث تتشابه فى كونها تعلن عن خطأ تطورى يتمادى فيه الجنس البشرى بشكل منذر.

الخطر الأساسى باختصار شديد: هو أن الجزء الأحدث من وجودنا (الوعى الظاهر، والعقل الخفى) قد تعمق حتى طغى فألغى كل، أو معظم إنجازات التاريخ الحيوى، لصالح تفوق ما يسمى العقل، وهو يلتحف بما أسماه الديمقراطية، معلقا لافتة كتب عليها حقوق الإنسان

لا شك أن الأحدث أقدر، لكن الذى حوّل هذا الأحدث الأقدر ليصبح خطرا جسيما هو ما تورط فيه من زعم بأنه قادر **وحده** على دفع عجلة التطور

أثراً حيث لا يوجد بديل جاهز قادر بعد.

## المواجهة الأساسية:

نحن نعيش الآن مواجهة أعمق من كل المواجهات التي عاشها الإنسان عبر التاريخ، لم تعد المواجهات فئوية أو قومية أو حتى دينية، نحن جميعاً، بما أتاحت لنا وسائل الاتصال الحديثة، نعيش معاً في مواجهة تحديات البقاء ضد الانقراض، قد تحدث حروب جديدة، وقد تتجدد حروب قديمة، وهذه أو تلك إنما تعلن بقايا الاستقطابات القائمة، أو الماضية: من إسرائيل ضد العرب، حتى الكاثوليك ضد البروتستانت (أيرلندا)، مروراً بالشيعة ضد السنة (كما جرى في باكستان أو الهند وغيرهما)، فضلاً عن المواجهات الاستقطابية الفكرية المتعددة في كل المجالات (مجالات: الاقتصاد، والتطبيب، والأيدولوجيا... إلخ). لكن تظل المواجهة الأساسية، التي كانت طول عمرها قائمة، هي شغل الوعي البشري، ما دام قد تصدى للتدخل في مسار تطوره. إن حسن استعمال آليات الاتصال الحديثة، مع بالغ خطورتها، هو الأمل في تصحيح شطحات وصاية الوعي البشري الظاهر (وكذلك تصحيح أخطاء وغرور العقل البشري المنطقي)، البادى على السطح حتى تاريخه، هو استعمال هذه الآليات الأحدث لتزييف الوعي البشري وتشكيله لصالح أقلية فقدت بصيرة انتمائها للنوع، لكن الجارى أيضاً، وبشكل مواز، قطعاً أهم، هو محاولات الإبداع المستمر لتصحيح المسار على مستوى البشرية، خاصة وقد أتيحت الفرصة لكل الناس أن يسهموا في المهمة، كل من موقعه، وبأدواته المتاحة!!.

## مستويات المواجهة

كل الناس عبر العالم، يبحثون عن منهج أقدر، عن ديمقراطية أصدق، عن علم أشمل، عن علاقة بالطبيعة أكثر تنامياً، عن وعى فائق يحتوى كل ما كان، ليكون به وبعده، لا على حسابها. الناس يحاولون أن يتجاوزوا الخلاف حول المحتوى (أى دين وأى أيديولوجى، وأى نظرية)، ليتفاهموا حول المنهج (كيف نكون، وكيف نعمل، كيف نتواصل)، لتحقيق إنسانية الإنسان ليبقى ثم يمضى إلى ما يعد به.

إن مواجهة أخطاء التطور التي زعمتها لا تتم على المستوى الأكاديمى أو المتخصص فحسب، ولا حتى على المستوى السياسى المتحكم، بل هي جارية طول الوقت عند كل الناس، (بما فيهم من يسمون المجانين، بل: وخاصة من يسمون المجانين).

الذى حافظ ويحافظ على بقاء نوع النمل والنوارس، ليس المجلس الأعلى لبقاء النمل، ولا الحكومة المنتخبة لجمهورية النوارس، ولكنهم كل النمل، وكل النوارس.

فيما يلى إشارة محدودة إلى خطوط بعض تلك الأخطاء التطورية الجارية (مجرد مثالين).

## الخطأ المثال (الأول):

إن اللغة الرمزية قد حلت محل اللغة الكلية (الجسدية، والحشوية، والجينية، والتجاوزية)

## مستويات المواجهة ومحاولات التصحيح:

(1) مستوى الخاصة: العلم المعرفى، والعلم المعرفى العصبى، وعلوم الشواش والتركيبية، والإبداع التشكيلى، وبعض الإبداع الحداثى، وما بعد الحداثى.

(2) مستوى العامة: شك الناس فى البيانات الكلامية، وعدم اقتصارهم على الحوار اللفظى، مع التفضيل أحياناً للحوار الجسدى، والاعتراف بالعرف مع أو بدون القوانين المكتوبة، والاعتماد على التجربة قبل التنظير.. إلخ.

## (3) المواجهة السلبية: العودة للخرافة وبعض الجنون

حين أنتهى الاتحاد السوفيتى ففز خصمه شامتاً وهو يتصور، ويصور لنا، أنه الصحيح الأوحى المتبقى أمامنا لاختياره!!.

نحن نعيش الآن مواجهة أعمق من كل المواجهات التى عاشها الإنسان عبر التاريخ، لم تعد المواجهات فئوية أو قومية أو حتى دينية، نحن جميعاً، بما أتاحت لنا وسائل الاتصال الحديثة، نعيش معاً فى مواجهة تحديات البقاء ضد الانقراض

تظل المواجهة الأساسية، التى كانت طول عمرها قائمة، هى شغل الوعي البشري، ما دام قد تصدى للتدخل فى مسار تطوره

إن حسن استعمال آليات الاتصال الحديثة، مع بالغ خطورتها، هو الأمل فى تصحيح شطحات وصاية الوعي البشري الظاهر (وكذلك تصحيح أخطاء وغرور العقل البشري المنطقي)

البادى على السطح حتى تاريخه، هو استعمال هذه الآليات الأحدث لتزييف الوعي البشري وتشكيله لصالح أقلية فقدت بصيرة انتمائها للنوع

لكن الجارى أيضاً، وبشكل مواز، قطعاً أهم، هو محاولات الإبداع المستمر لتصحيح المسار على مستوى البشرية، خاصة وقد أتيحت الفرصة لكل الناس أن يسهموا فى المهمة، كل من موقعه، وبأدواته المتاحة!!.

الناس يحاولون أن يتجاوزوا

## الخطأ) المثال (الثاني):

إن الفكر الظاهر قد حل محل، الوعي الغائر أو استبعده<sup>(4)</sup>

### مستويات المواجهة ومحاولة التصحيح:

(1) **مستوى الخاصة:** مدارس تعدد الذوات، وتعدد مستويات الوعي، وهيراركية تركيب الجهاز العصبي والنفسي، والتحليل التركيبي، وعلم النفس والطب النفسي التطوري، والتفسير الغائي للسلوك (في الصحة والمرض)، وفنون الحكى، وفنون التشكيل، وفنون الدراما (في المسرح خاصة).

(2) **مستوى العامة:** إحياء معاشية التراث الشعبي، واستلهام واحترام الوعي الشعبي، الذى يتعامل تلقائيا مع هذا التعدد فى الكيان البشرى، سواء اتخذ لغة الحكمة الشعبية، أو اللغة الدينية، أو اللغة التصوفية، أو الممارسات الحدسية الشعبية المتجاوزة لأحادية الظاهر.

(3) **المواجهة السلبية:** إسقاط هذه الذوات المتعددة داخلنا إلى الخارج فى صورة عالم الجان، و.. وبعض الجنون أيضا.

### والباقي أكثر:

أوقف نفسى قسرا خشية التماهى فى هذا الإيجاز المخل فى عرض أمثلة أخرى أكثر تحديا وأخطر أترا، إن الإفاقة الواجبة تحتم علينا أن نعيد النظر أيضا فيما انتهى إليه ما هو "عقل"، و"تفكير" ثم "دين" و"إيمان"....، مروراً بهز آلهة جديدة مثل إله ما "يسمى العلم"، وإله زعم "الديمقراطية"... إلخ، إن ما يهمنى فى هذه المقدمة هو مجرد التنبيه إلى أن مستويات المواجهة الثلاث (خاصة، وعامة، وسلبية) هى جارية على قدم وساق فى محاولة هز كل هذه المقدرات، خذ إشارة عابرة إلى: كيف يواجه الناس تقديس الديمقراطية بالعزوف عن المشاركة فى الانتخابات أصلاً (أحيانا أكثر من 50% فى البلاد المتقدمة التى تقدر الديمقراطية) ما معنى ذلك؟، أو خذ مثلاً كيف يواجه العامة السلطة الدينية المغترية عن الإيمان بما يسمى الدين الشعبى، وهكذا.

### خلاصة القول:

(1) إن الإنجازات العلمية والتقنية الأحدث تستعمل، فى نهاية النهاية للأسف: فى تزييف الوعي أكثر من مساهمتها فى تحريك الإبداع لإنقاذ النوع.

(2) إنه يمكن تفسير الممارسات النكوصية التى ظهرت مؤخراً على مستوى الفكر والحرب جميعاً (من "نهاية التاريخ" إلى "11 سبتمبر" إلى "حكم صدام" إلى "غزو العراق") باعتبارها النتيجة الطبيعية لهذا التزييف المنظم لـ"الوعي العالمى المفبرك الجديد".

(3) إن محاولة تصحيح تلك الأخطاء التطورية جارية على كل المستويات بشكل تلقائى عنيذ، وإن كانت النتائج شديدة التواضع ومهددة بالإجهاض من القوى المتربصة.

(4) إنه كما تتولد غرائز سلبية جديدة من خلال تزييف الوعي، لا بد أن نعمل على توليد غرائز إيجابية جديدة لتحل محل الفشل المنظور قريبا لهذا التعلق الزائف الأيل للسقوط بما يحمل من مقومات هدمه لنفسه.

(5) إن قضية الوجود البشرى هى قضية بقاء النوع وتميزه قبل وبعد أى أيديولوجية أو دين أو نوع حكم أو شخص حاكم، فهى قضية كل فرد دون استثناء، وعلى كل فرد أن يسهم من موقعه فى المقاومة والتصدى "فكأنما أحيا الناس جميعاً"

### وبعد

الخلافة حول المحتوى (أى دين وأى أيديولوجى، وأى نظرية)، ليتفاهموا حول المنهج (كيف نكون، وكيف نفعل، كيف نتواصل)، لتحقيق إنسانية الإنسان لبقية ثم يمضى إلى ما يعد به.

الذى حافظ ويحافظ على بقاء نوع النمل والنوارس، ليس المجلس الأعلى لبقاء النمل، ولا الحكومة المنتخبة لجمهورية النوارس، ولكنهم كل النمل، وكل النوارس

الإفاقة الواجبة تحتم علينا أن نعيد النظر أيضا فيما انتهى إليه ما هو "عقل"، و"تفكير" ثم "دين" و"إيمان"

أن مستويات المواجهة الثلاث (خاصة، وعامة، وسلبية) هى جارية على قدم وساق فى محاولة هز كل هذه المقدرات

إن الإنجازات العلمية والتقنية الأحدث تستعمل، فى نهاية النهاية للأسف: فى تزييف الوعي أكثر من مساهمتها فى تحريك الإبداع لإنقاذ النوع

يمكن تفسير الممارسات النكوصية التى ظهرت مؤخراً على مستوى الفكر والحرب جميعاً (من "نهاية التاريخ" إلى "11 سبتمبر" إلى "حكم صدام" إلى "غزو العراق") باعتبارها النتيجة الطبيعية لهذا التزييف المنظم لـ"الوعي العالمى المفبرك الجديد"

إن محاولة تصحيح تلك الأخطاء التطورية جارية على كل المستويات بشكل تلقائى

الدفاع عن البقاء لدفع التطور هو فرض عين في نهاية النهاية، إذا قام به البعض لايسقط عن الباقي.  
وإلا ....، فالانقراض لا يستثنى.

\*\*\*\*

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى الرخاوي (الطبعة الأولى 2019) وصورته الأولى كانت مقالات في مجلة سطور (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 مينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط

- [2] مجلة سطور: (عقد سبتمبر 2003)

هذا المقال هو قراءة في الأحداث الجارية بعراق الحرب وهو يقول "فرضا يقول "إن ثم خطراً أساسياً أكبر يكمن وراء تلاحق هذه الأحداث الكوارث، هو أكبر بكثير من الضرر الذي أصاب أفغانستان، والعراق، أو الذي يمكن أن يصيب أي قطر يغزوه هؤلاء الغزاة تلت زعم التعمير أو التدمير أو التنوير، هذا الخطر هو: "تزييف الوعي البشري بما يخالف طبيعته، أي طبيعة وقوانين التطور، الأمر الذي يسمح بمثل ما جرى، ثم يبرره ليتماذى بما يهدد بانقراض الإنسان".

" - [3] الانقراض جينات سيئة أو حظ سيء"، تأليف: دافيد. روب، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، المجلس الأعلى للثقافة سنة 1998.

- [4] حتى الفكر الذي اعترف بوعي كامن، استعمل النفي لوصفه، (اللاوعي)، مع أنه لم يهمله (التليل النفسي)

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD270621.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

محميد ، وإن كانت النتائج  
شديدة التواضع ومحددة  
بالإجهاض من القوى  
المتربصة.

كما تتولد غوايز سلبية  
جديدة من خلال تزييفه  
الوعي، لا بد أن نعمل على  
توليد غوايز إيجابية جديدة  
لتحل محل الفشل المنتظر قريباً  
لهذا التعلق الزائف الأبل  
للسقوط بما يحمل من مقومات  
هدمه لنفسه.

إن قضية الوجود البشري هي  
قضية بقاء النوع وتميزه قبل  
وبعد أي أيديولوجية أو دين  
أو نوع حكم أو شخص حاكم،  
فهي قضية كل فرد دون  
استثناء، وعلى كل فرد أن  
يسهم من موقعه في المقاومة  
والتصدي "فَكَاثِمًا أَحْيَا النَّاسَ  
جَمِيعاً